أدب النصيحة والحكم المصرية القديمة

د. لينا محسن*

الملخص:

أنتجت الحضارة المصرية أدبًا عرف بأدب النصيحة، وقد وصلنا من هذا الأدب ثماني أوراق من البردي، وسميت هذه الأوراق بأسماء الحكماء الذين كتبوها، وهي حسب التسلسل التاريخي حكم وأمثال "بتاح حتب"، وتعاليم "كاجمني"؛ وهما من الدولة القديمة، و"تعاليم مريكارع" من العهد الإقطاعي، ووصايا أمنمحات لابنه "سنوسرت"، وتعاليم "ستب أب–وع"، وتعاليم من الدولة الوسطى، وتعاليم آني، وتعاليم أمنموبي من الدولة الحديثة.

ولم تقتصر الحكم والتعاليم على عصر بعينه، بل امتدت لتشمل عصور مصر القديمة كلها، وشملت مختلف جوانب الحياة من زواج وتعليم وآداب المائدة وغيرها.

قدمت هذه الحكم والنصائح خلاصة تجارب الحياة، وبينت للمصريين القدماء طريق السعادة، ووضعت بين أيديهم المثل العليا التي يستطيعون الاقتداء بها في الدنيا، وتنظم العلاقات الاجتماعية بين الناس، وهدفت إلى تقديم النصح ليكون المرء ناجحًا في حياته مع أسرته وأولاده، وأن يقيم علاقة طيبة مع أبيه وأمه، وأن يكون الموظف ناجحًا في عمله ويؤديه على أكمل وجه، وسعت إلى إرشاد المرء إلى دراسة الحياة والتعامل الصحيح في نواحيها المختلفة، وكيف يمكن له أن يتحدث مع غيره، ويجيب عما يسأل عنه بإجابات صحيحة مما يمهد له طريق النجاح والتقدم في الحياة، وإلى جانب ذلك فإن تلك النصائح كفيلة بأن تخلد ذكرى الحكماء والكتاب، وهي بنظرهم أهم من بناء القبور والأهرامات.

وتَكَفَّلَ بالنصح والتوجيه في مصر القديمة آباء مثقفون، ومعلمون من الكهان والمدنيين والأدباء، ونسبوا نصائحهم إلى خبرتهم الشخصية، وتجارب أسلافهم، ولم ينسبوها إلى وحي السماء أو إلى أوامر الأرباب.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

The Literature of Advice and old Egyptian wisdom

Dr. Lina Mohsen**

Abstract

Egyptian civilization produced a literature that was known as the advice literature and just eight papyruses came from this literature. These papers were named according to the names of their wisers who wrote them and they were put in the historical order as proverbs and wisdoms, Patah-hotep" and"Kajmni" instructions, and both are from the old country, "Mrecara" instructions from the feudal region, and "Amnmhat" commandments to his son "Snosert", and "step up-waa" instructions, and other instructions from the medieval country and "Anny" instructions, and "Amnmoby" instructions from the modern country. These wisdoms and instructions weren't specified to any times, but they expanded to cover all the Egyptian Times and included every part in the life issues such as; marriage, learning, board decency and others. These wisdoms and instructions produced the extract of life experience and signified the happiness way to Egyptians and put the highest values that could be a guide to the life in their hands, and organized the social relations among peoples. They aimed to give advice to make successful persons in their life, family, and children as well as to make good relations with their mothers or fathers, and to be a successful clerk in his work that should be done properly. They also guide man to study life and deal with every part of it and how to talk and answer well. That leads to success and development in the life. In addition, these pieces of advice are enough to eternalize the memorial of authors and wisers who are the most important than pyramids and graves building. By guiding and advising in the old Egypt, we guarantee of having educated fathers and civilian or clergymen teachers, authors who ascribed their advice to their personal and ancestors experiences that weren't ascribed to the heaven inspiration or to the Gods' orders

** Damascus University, College of Arts and Humanities, Department of History.

أولًا: المقدمة:

اهتمَّ المصريون القدماء بالأدب، وبلغ مكانة مهمة عندهم، وشمل نتاجهم الأدبي كل أنواع الأدب من شعر وقصة ونثر وأسطورة، وتفردت الحضارة المصرية بقدم نتاجها الأدبي الذي عرف بأدب النصيحة عن باقي الحضارات القديمة، وأولوا أهمية خاصة لهذا النوع من الأدب المحبب إلى قلوب المصريين.

وهدفت تلك الحكم إلى إسداء النصح من الآباء إلى الأبناء أو من الأستاذ إلى التلميذ، ليرشده إلى الطريق الصحيح، وليكون ناجحًا في حياته مع أسرته وأولاده ومع أمه، وأن يكون موظفًا ناجحًا في عمله، فهي تشمل أمور حياته كلها.

وأهمية هذه النصح في نظر المصريين القدماء، وفي نظر كاتبها تنبع من كونها أرفع مكانة من كل أمور الحياة ؛ لأنها ستبقى بعد زوال كل شيء، وتخلد ذكرى واضعها، وتمنحه الخلود أكثر مما يمنحه إياه بناء القبر أو الهرم، مع ما يمثله القبر والهرم من رمزية دينية تتعلق بعقيدة البعث، وعودة الروح إلى الجسد لدى المصريين القدماء.

وإنه لمن الأهمية الوقوف عند هذه الحكم والتعاليم، ومن قالها، وماهي أهميتها بالنسبة لقائلها وللمتلقي؟ وتفسيرها وتحليل مضمونها لتبيان أهمية ما وصل إليه المصري القديم من تعاليم شملت مختلف جوانب الحياة، حتى أصبحت بمثابة القوانين التي تنير درب الأبناء، وترشدهم إلى سلوك الطريق الصحيح في التعامل مع الأشخاص، أو مع الأحداث التي من الممكن أن يتعرضوا لها، واستنباط تلك القوانين والتشريعات من خلالها، وكذلك توضيح علاقة صاحب هذه التعاليم بالحكمة والوصول إلى الخلود من خلالها، فقد أيقن الكاتب المصري أنه إذا نجح في نشر نصائحه القيّمة خلد اسمه على مر العصور، والأسباب الكامنة وراء الاهتمام الكبير الذي أولاه الكاتب في تأليف نصائحه ومؤلفاته الأدبية.

وكيف انتقلت هذه الحكم والتعاليم من تعاليم فردية خاصة إلى تعاليم عامة موجهة لجميع أفراد المجتمع، فقد بدأ الحكيم بابنه أحب الناس إليه ليضع نصائحه وحكمه بين يديه كي يحفظها، ويعمل بها، ويعلمها لمن بعده من ذريته، وليأخذ بها كل من يقرأها ويتعلمها ويعلمها لأبنائه من بعده، وتصبح قانونًا يسير عليه المجتمع المصري القديم أخلاقيًا واجتماعيًا ودينيًا.

وستقتصر الدراسة على تعاليم كاجمني، وبتاح حوتب، وآني، وأمنموبي، وفي جوانب التعليم، ومهنة الكتابة، والعلاقة الأسرية كالعلاقة مع الزوجة ومع الأبناء والآباء وعلاقة الأبناء بأمهاتهم، وكيفية التعامل مع كبار السن ومع الحاكم، وكذلك نصائح في آداب المائدة والحساب في الآخرة.

ثانيًا: مفهوم الحكم والنصيحة عند المصريين القدماء:

عرف المصري القديم أدب الحكمة، وأطلق على هذا النوع من الأدب باللغة المصرية القديمة اسم سباييت (sebayt)؛ لأن هذه الحكم تبدأ بكلمة "سبوبي" كعنوان لها، ومعنى الكلمة:" درس أو تعليم"، بمعنى أن هذه التعاليم هي التي ترشد الإنسان للطريق القويم، واشتقت الكلمة سباييت من الجذر سبا (seba) الذي يحمل عدة دلالات منها: نجمة، وتعاليم، وحكمة، ومدرسة، وتلميذ. ونتج عن هذا المسمى مترادفات لفظية ثلاث، وهي سباييت؛ أي دروس وتعاليم، وسباييت معنخ؛ أي دروس من الحياة وتعاليم للحياة؛ وسباييت متريت؛ أي دروس توجيهية وتعاليم تهذيبية.

وقد ربط المصريون القدماء الحكمة بالنجوم، ووجدوا العلاقة بينهما، فالحكمة تحول البشر إلى أرواح مشرقة كنجوم السماء، وكما ترشد نجوم السماء السائر في ظلمة الليل، كذلك ترشد تعاليم الحكمة الروح التي تبحث عن المعرفة، والتي تسعى للعودة إلى موطنها في العالم السماوي.

ولم تظهر الحكم والتعاليم في عصر دون غيره، بل شملت عصور مصر القديمة كلها، فهناك حكم وضعها الحكيم في حياته، وهناك حكم مأخوذة عن نسخ من عصر سابق، وأصبحت تدرس في المدارس لأهميتها لما تحتويه من مواعظ وحكم وأمثال تنير للمصريين القدماء طريق الحياة.

ولم تقتصر الحكمة على فئة دون غيرها، فقد قدمها آباء مثقفون، ومعلمون من الكهان والمدنيين، وأدباء انتحلوا صفة الآباء، ونسبوا نصائحهم إلى خبرتهم الشخصية وتجارب أسلافهم، ولم ينسبوها إلى وحي السماء أو إلى أوامر الأرباب، لكنها تكيفت بما يخدم مصالح الملك، وأضفي عليها نوع من القداسة.

وما وصلنا من الأدب المصري عبارة عن أوراق بردية اختصت بالوعظ، ونذكر منها تعاليم كاجمني، وبتاح حتب، والحكيم آني التي وردت في البرديتين المعروفتين بورقتي بريس[1] وبولاق•[2]. وأقدم التعاليم تلك التي نسبت إلى كاجمني، ولم يكن كاجمني حكيمًا،

---

[1]- بريس منسوبة للعالم الفرنسي الذي اشترى البردية من أحد الفلاحين في الأقصر، وأهداها إلى المكتبة الأهلية بباريس 1847، وهي محفوظة فيها إلى الآن. ويبلغ طول البردية ثمانية أمتار، وتتألف من ثماني عشرة صفحة، مكتوبة بالخط الهيراطيقي وبكتابة واضحة وباللونيين الأسود والأحمر. وهي عبارة عن كتابين لم يبق من الكتاب الأول إلا الجزء الأخير، وهو مايعرف بتعاليم كاجمني، أما الكتاب الثاني فهو كامل تمام، ويعرف بتعاليم بتاح حوتب؛ انظر: كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ط2، الهيئة العامة للكتاب، 1918، ص: 20.

• بردية بولاق: عثر عليها مارييت باشا مؤسس مصلحة الآثار في مقبرة الدير البحري بالأقصر عام 1870، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها حفظت بالمتحف المصري عندما كان مقره الأول في بولاق، وكتبت في عهد توت عنخ آمون، وتشمل تسع صحائف تتضمن حكمًا وضعها "آني الحكيم" لتلميذه "خونس حتب".

[2]- ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ط1، مطبعة المعارف بمصر، 1923، ص: 13.

ولم يقم بتأليفها، ولم يذكر في النصائح إلا اسم "كاجمني"؛ لذلك سميت بهذه التسمية، ومن المرجح أن كاجمني هو ابن مؤلف الحكم، ولم يصلنا من تعاليم كاجمني إلا ورقتان، أما تعاليم بتاح حوتب فقد كانت أفضل حظًا مما عداها؛ إذ وصلتنا كاملة، وكلاهما من عصر الدولة القديمة، وإلى عصر الدولة الحديثة ترجع نصائح آني التي وجهها لابنه خنسو حتب، وكذلك تعاليم أمنموبي؛ وشملت هذه النصائح جميع مجالات الحياة كالتعليم والزواج وغيرها، وسأكتفي بإلقاء الضوء على بعضها.

ثالثًا: نصائح في أهمية التعليم ومكانة المتعلم:

حثَّ المصريون على ضرورة التعلم؛ لأن التعليم يتيح لصاحبه أن يصبح كاتبًا ماهرًا، وأهمية ذلك تتبع من كون الكاتب المثقف وريث الآلهة، ويُخلّد أسمه بعد موته، ولا يكون تخليد اسمه ناتجًا عن الثروة أو من بناء أهرامات من نحاس، ولا من صفائح القبور المصنوعة من الحديد، إنما خلود اسمه يأتي من الكتب التي ألفوها. ومن ضمّات البردي التي كتبوا عليها تعاليمهم، فهي أهراماتهم التي ستخلدهم، ويشترط الحكيم على ابنه بعد أن عدد جملة النصائح التي نصحه بها أن يحفظ ما قاله؛ لأن ذلك كفيلٌ بأن يجعله يصبح كاتبًا ماهرًا، ووريثًا للآلهة في الحكمة كما ورد في بردية من عهد الرعامسة: "إذا فعلت هذه الأشياء فإنك تصبح كاتبًا حاذقًا، والكتّاب المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة، وهم الذين تنبئوا بالمستقبل قد بقيت أسماؤهم خالدة مع أنهم تواروا عنّا لانتهاء أجلهم، ومع أن كل ذريتهم قد أصبحت نسيًا منسيًا، على أنهم في ذلك لم يقيموا أهرامًا من نحاس، ولا صفائح من قبور من حديد"[3]. وكأن الكاتب يضع بين يدي تلاميذه أو أبنائه قانونًا إذا فعلت كذا فستكون كاتبًا ناجحًا، ويرفع من شأن الكاتب، وتسمو مكانته ليضعه في مصاف الآلهة، ويتنبأ للمستقبل.

وعدّت هذه التعاليم إرث كاتبها الذي سيخلد اسمه، وعدَّت مواد الكتابة عائلته، فكان القلم بمثابة الابن البار لذكرى أبيه، والحجر الذي يكتب عليه يمثل زوجته، وجميع الناس كبارًا وصغارًا هم أطفال الكاتب وهو رئيسهم، وبقدر ما يقدم الكاتب كتابة متقنة يكتسب واضعها البقاء والخلود"[4]؛ وشجع الحكيم آني ولده على طلب العلم؛ لأن العلم يرفع من شأن المتعلم، وتعلو مكانته الاجتماعية، ويرفع من شأن أهله أيضًا وإن لم يكونوا ذوي مكانة في المجتمع، وتعمّد وضع المبررات لضرورة التعلم، فيقول له: إن الوظائف لا يكون لها وريث وأن الموظفون ليسوا كأصحاب الحرف يرثهم أبناؤهم في العمل، فالموظف لا يرثه ابنه، وبموته يصبح مكانه شاغرًا؛ لذلك فأمام المتعلم فرصة أن يحصل

[3]- حسن، سليم: الأدب المصري القديم أدب الفراعنة، جـ1، في القصص والحكم والتأملات والرسائل، 1990، ص: 182.
[4]- البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2006، ص: 94.

على هذه المناصب إذا تعلم، إذ يقول "فما من ولد لرئيس بيت المال، وما من وريث لرئيس حامية...، وعديد المناصب التي لا خلفاء لها"[5].

وحبب الكاتب المصري القديم أبناءه بالتعلم والكتابة؛ لأن الكتابة وحدها تمنح الخلود للكاتب، وتحاكي مؤلفاته قلوب قارئيها على مر العصور، وتستقر في ضمائرهم فيذكروه، وأن كتابًا واحدًا يخلد اسم كاتبه بعد أن يفنى جسده ويبلى، وذلك بقوله:

"فكن كاتبًا، وضع ذلك في قلبك وبذلك يبقى اسمك، وإن مؤلفًا واحدًا لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة، ومن جدران قبر أحكم تأسيسه، حقًا إنه من الخير أن يكون اسم الإنسان في فم الناس في الجبانة، فالرجل يموت وجثته تبلى، وكذلك تصبح كل ذريته ترابًا، ولكن الكتب (التي يؤلفها) تجعله مذكورًا في فم من يلقيها، وإن كتابًا واحدًا لأكثر نفعًا من بيت يؤسس، ومن قبر في الغرب•، ومن قصر عظيم، ومن نصب تذكاري أقيم في معبد"[6].

ويستذكر الكاتب في معرض حديثه الكتّاب السابقين الذين خلدتهم كتاباتهم، ويعدد أسماءهم التي بلغت ثمانية من عظماء الكتّاب، ويعظّم شأنهم، فيقول: "فهل يوجد إنسان مثل "حردادف•"، وهل يوجد آخر مثل "أمحوتب• "على أنه ليس في عصرنا واحد مثل "نفري•" و"خيتي•"، وإني أذكرك باسمين "بتاح أم تحوتي"، و"خع خبر رع سنب•"، وهل يوجد من يماثل "بتاح حتب•" أو "كاإرس•" وهؤلاء هم الحكماء الذين تنبئوا بالمستقبل، وقد وقع فعلًا ما تفوهوا به، وقد وجد كلام مدون في كتبهم، وقد منحوا أولاد غيرهم ورثة لهم، وكأنهم أولادهم الحقيقيون، وقد اختفوا ولكن سحرهم قد امتد تأثيره إلى كل الناس الذين قرأوا تعاليمهم، ولقد ذهبوا ونسي اسمهم، ولكن الكتابة جعلت المرء يذكرهم"[7]. ويدلنا تعداد أسماء

---

[5]- حسن، سليم: الأدب المصري القديم، جـ1، ص: 237.

• قبرًا في الغرب: اعتقد المصريون القدماء بأن نهاية الحياة في جهة الغرب؛ لذلك بنوا مقابرهم في جهة الغرب تماشيًا مع انتهاء رحلة الإله رع إله الشمس في جهة الغرب نهارًا ليبدأ رحلته الليلية المعتادة. فكان لجهة الغرب قدسيتها المرتبطة بالعالم الآخر.

[6]- البربري، أحمد: ص: 93؛ كذلك: كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ص: 105.

• **حردادف:** عاش في عصر الملك خوفو من الدولة القديمة وجاء ذكره في قصة خوفو والسحرة.

• **أمحوتب:** الحكيم وزير الملك زوسر من الأسرة الثالثة في الدولة القديمة، وهو صاحب فكرة بناء الهرم المدرج في صقارة

• **نفري:** لم يتعرف الباحثون عليه إلى الآن.

• **خيتي:** يعتقد أنه مؤلف الحكم والتعاليم التي نسبت خطأ إلى دوواوف.

• **خع خبر رع سنب:** ألف لوحة مكتوبة ومختصة في أدب الحكم والتأملات، وهي محفوظة في المتحف البريطاني.

• **بتاح حتب:** وزير في عصر الملك أسيسي" من الأسرة الخامسة (2670 ق.م)، وتعد النصائح التي كتبها ابنه أقدم كتاب في التاريخ القديم.

• كاإرس غير معروف إلى الآن.

[7]- حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة، الأدب المصري القديم في القصة والحكم والتأملات والرسائل الأدبية، جـ17، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة القاهرة، 2000، ص: 173.

الكتاب والحكماء السابقين والبعيدين زمنيًا على زمن هذه الحكم إلى خلود أسمائهم بعد موتهم بمئات السنين، إن لم يكن أكثر، وأن الناس تستذكر أقوالهم كأنها أقوال مقدسة. ويميّز أمون أم أوبت (أمنموبي) بين المتعلم والجاهل تقديرًا منه للعلم والتعليم: "إن الكاتب دون سواه هو الذي يدير أعمال جميع الناس، أما من يكره العلم فإن الحظ يتخلى عنه" ويقولون عن الجاهل: "لا يعرف اسمه أحد، ومثله مثل الحمار المثقل بما يحمله يسوقه الكاتب ويوجهه"، والرجل المحظوظ هو الذي وضع العلم في قلبه وفضله على كل عمل آخر"[8]؛ ويحذر الحكيم بتاح حتب ابنه من الغرور إذا تعلم: "لا تعجب بعلمك؛ لأن العلم بحر لا يصل إلى آخره أي متبحر مهما خاض فيه وسبح، واعلم أن الحكمة أغلى من الزمرد؛ لأن الزمرد تجده الفَعَلة في الصخور بخلاف الحكمة فإنها نادرة الوجود"[9].

وينصحه ألا يتكبر، وأن يشاور المتعلم وغير المتعلم؛ لأن المعرفة لا حدود لها، وأن المرء لا يتعلم بذاته، بل نتيجة خبرات ومعارف الجميع، ومن الممكن أن يجد الحكمة حتى من أفقر الناس، إذ يقول: "لا تغتر بما حصلت عليه من العلم فتستكبر، ولا تتجبر، ولكن اجعل الأمر شورى مع الجميع، شاور الرجل غير المتعلم كالمتعلم؛ لأنه ليس هناك حد للمعرفة، ولا رجل وصل إلى نهاية العلم بنفسه، وإن قول الحكيم نادر، وأكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم، ومع ذلك يوجد مع الإماء اللواتي يعملن على أحجار الطواحين"[10]. وهنا يحث المتعلم على ضرورة أخذ العلم والحكمة من أي شخص كان، فالحكمة ليست حكرًا على شخصٍ بعينه، وأنها نادرة الوجود ندرة الحجر الكريم في الطبيعة، ومن الممكن أن نجدها لدى أفقر الناس.

ويعلّمه أن يستمع لمن هو أكبر منه سنًا وأكثر معرفةً وحكمةً، وأن يظهر له أنه مهتم بما يقول ويوافقه الكلام بحركة جسده، وهذا يلقَ استحسان الناس يقول: "إذا وجدت رجلًا يتكلم، وكان أكبر منك، وأشد حكمة فاصغ إليه، واحنِ ظهرك أمامه، ولا تغضب إلا إذا تفوه بالسوء، وعندئذٍ سيثنون عليك، وسيحسن ذكرك عند العظماء. إذا وجدت رجلًا يتكلم، وكان فقيرًا أي ليس مساويًا لك، فلا تحتقره؛ لأنه أقل منك بل دعه وشأنه ولا تحرجه لتسر قلبك، ولا تصب عليه جام غضبك؛ فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك

[8]– البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، ص: 133

[9]– ذكرى، محرم: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 17.

[10]– كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح، ص: 29.

فتظلمه فاقهر أهواءك؛ لأن الظلم لا يتفق مع شيم الكرام"[11]. ويحذره من الغضب، وألا يحتقر فقيرًا؛ لأنه سيظلمه.

وكأننا هنا أمام قوانين في آداب الحديث يقدمها الكاتب للأبناء، كأن ينصت الشخص للرجل الكبير في السن إذا تكلم، وأن يجيبه بالقبول على كلامه، وألا يتفوه بكلمات السوء أمامه، وإذا فعل ذلك فإنه سيحصل على رضا الناس، ويثنون على فعلته، وألا ينتقص من شأن الفقير، وينصحه أن يكبت انفعالاته، وألا يظهر له غضبه كي لا يظلمه؛ لأن الظلم لا يتناسب مع أخلاق الكرام.

وقد أكد بتاح حوتب على ضرورة أن تلقى كلماته أذنًا صاغية من ابنه، وأن يطبقها في سلوكه، وبذلك يتبع الطريق الصحيح في حياته، ويكون محببًا من الآلهة، أما إذا لم يستمع فسيشقى، ويضل طريق الصواب، فيقول:" إذا ما تقبل ابن الرجل ما يقول أبوه فلن يضل له مسعى، وذلك على حين يضل مسعى من لا يستمع، وأن من يوده الإله هو المستمع، أما من لا يستمع بغيض الإله"، ويكمل آني قائلًا:"إني محدثك بهذه الأمور الصائبة، وهي ما تتدبرها في فؤادك، فإن حققتها غدوت صالحًا، وانتفى عنك كل سوء.." [12]. وفي هذه الأقوال تأكيد على أن من يستمع لتلك النصائح، ويطبقها في حياته سيكون محبوبًا من الآلهة، ويسير في الطريق الصحيح، أما إذا لم يعمل بها فستبغضه الآلهة، ويشقى في حياته.

رابعًا: نصائح في تمجيد الكاتب ومهنته:

ينتظر المتعلم مستقبلًا مهمًا بأن يصبح كاتبًا، وكانت هذه المهنة محببة ومفضلة لدى المصريين القدماء؛ لما تحمله من علو في المكانة الاجتماعية، والراحة الجسدية، ويقول أمون أم أوبت (أمنموبي): "كن كاتبًا حتى يريح عقلك إجهاد جسدك، كن كاتبًا حتى تصبح سيد نفسك، ولا تكن تحت سيطرة أيادي آخرين وكثيرين"، وكذلك يقول: "فرحٌ هو قلب الكاتب الذي يزداد شبابًا كل يوم بما يعطى للناس، فغذاء العقل الذي تقدمه للناس باق، أما غذاء البطن الذي يعطيه لهم الغير فلا يدوم" [13].

ويظهر الحكيم آني أهمية الكاتب ومكانته الاجتماعية وسمو حرفته؛ إذ يقول: "إذا كنت ماهرًا في الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله، إذن خصص نفسك للكتب،

---

[11]– Bttiscom be GUNN: The in strction of PTAH-HOTEP and he instruction of KEGMNI, The oldest books in the world, LONDON, 1912, P: 43.

كذلك: ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 30.

[12]– حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة، جـ17، ص: 178.

[13]– البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، ص: 102.

وضعها في لبك، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازًا، كل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه يستشير فيها الكتب، فليس هناك ولد لملاحظة الخزانة، ولا وارث لملاحظة الحصن.. الوظائف لا أولاد لها[14].

ويعدد الكاتب فضائل مهنة الكتابة على غيرها من المهن بكونها تعفي صاحبها من العمل بالسخرة، وتبعده عن كل عمل شاق يتعب الجسد، فالكاتب لا يرهق نفسه بالضرب بالفأس كالفلاح، ولا بتحريك المجداف في الإبحار، ولا يترأس على الكاتب رؤساء كثيرون، كما يفضل مهنة الكتابة على مهنة الكاهن المطهر، فالكاهن يقف كالفلاح، ويبقى مبللًا بالماء، ولا يميز بين الصيف والشتاء، وهنا أيضًا تفضيل لمهنة الكتابة على مهنة الفلاحة المجهدة والشاقة، كما أن مهنة الكاتب أفضل من مهنة الخبَّاز الذي يتعرض لنار الفرن، ويحترق بنارها الحامية، فيقول: "كن كاتبًا فتعفى من السخرة، وتحمي نفسك من كل عمل شاق، فالكاتب يتخلص من العزق بالفأس، ويكون في غنى عن حمل السلة، إن مهنة الكتابة تخلصك من تحريك المجداف، ولا تسبب لك همًّا ولا نكدًا، ولا يكون لك فيها رؤساء كثيرون، وأن الرجل إذا خرج من رحم أمه، فسرعان ما يعرض أمام رئيسه، فيصبح الولد تابعًا للجندي، والشاب كاتبًا، والرجل المكتمل فلاحًا، ورجل المدينة سائسًا، والأعرج بوابًا، وقصير النظر طاعمًا للماشية، والكاهن يقف هناك كفلاح، والكاهن المطهر يبتل بماء النهر، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف، فهو دائمًا مبللًا بالماء، والخبّاز يقف ويخبز ويضع الخبز على النار ويمد رأسه داخل الفرن على حين يمسك ابنه بقدميه فإذا حدث أن انزلق الخبّاز من يد ابنه فإنه يسقط اللهيب، ولكن الكاتب يدير كل عمل في هذه البلاد"[15].

ولهذا فإن خير نصيحة كان يوجهها الأب لابنه، وهي أن يعمل ليصير كاتبًا؛ لأنه سيقود جميع الناس، ويكفي لبيان تقديرهم للعلم وأهله قولهم عن مهنة الكاتب إنها: "مهنة عظيمة؛ إذ تجلب أدوات كتابته وملفات كتبه البهجة والثراء"[16].

ويحثه على أن يكون موظفًا كي لا يكون مرهونًا بالحظ، أو يترك نفسه للملاهي التي لا تفيده بشيء، وإذا أحسن المرء العمل فمن الممكن أن يترقى في العمل، ويصبح عضوًا في مجلس الثلاثين•، وإذا لم يكن مجتهدًا فإنه سيخسر عمله، وكل المزايا التي من الممكن أن يحصل عليها إذا كان موظفًا، فيقول: "لا تدع قلبك يهتز كأوراق الشجر أمام الريح، ولا

[14]- حسن، سليم: الأدب المصري القديم، جـ1، ص: 235.
[15]- البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، ص: 138-139.
[16]- البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، ص: 133.
• مجلس الثلاثين: مجلس الحكام العظام الذين يديرون البلاد ومنهم يؤلف مجلس البلاط.

تجعل قلبك ينهمر في الملاهي، فإنها لا تفيد ولا خير فيها للإنسان، وعندما يشتغل المرء بيده، ويكون نصيبه أن يعمل في مجلس الثلاثين فإنه يشتغل، ولا يجرؤ على النوم؛ لأن العمل الشاق يقوم من أمامه، ولا خادم يحضر له الماء، ولا نساء يصنعن له الخبز على حين أن رفاقه يعيشون على حسب ما يبتغون والخدم يعملون بدلًا منهم، ولكن الرجل الذي لا عقل له يقف هناك ويشقى، وعيناه تنظران في حسد إليهم. من أجل ذلك انظر أيها الشقي أيها العنيد الذي لا يسمع عندما تساق النصح إليه أسرع إلى تلك المهنة بسرور فإنها هي التي تدير مجالس الثلاثين ورجال الحاشية الملكية، وأني أرجو أن تفطن لذلك"[17]. إذا لم يحسن متلقي النصيحة صناعة مستقبله، فإن ذلك سيعود بالسوء عليه، ولن يجد من يساعده، أما إذا اجتهد وأصبح موظفًا فسيكون لديه خدمًا يؤدون كل احتياجاته، وسيصبح عضوًا في مجلس القضاة؛ وهو أهم مجلس في مصر القديمة.

خامسًا: نصائح وحكم الزواج:

لم تخل الحكم المصرية من نصائح تخص الزواج؛ إذ ينصح ابنه بضرورة أن يكوّن أسرة، وأن يحبَّ زوجته، ويصوّر بتاح حتب لولده سبيل الاستقرار في الأسرة بتأمين حاجيات الزوجة، وأن يطعمها، ويكسو بدنها، ويهتم بزينتها، وأن يستميل قلبها بالمديح، ويحذره من إحضار ضرّة لها قائلًا: "إذا أصبحت كفئًا كوِّن أسرتك، وأحبب زوجتك في حدود العرف، أو عاملها بما تستحق، أشبع جوفها، واستر ظهرها، وعطّر بشرتها بالدهن العطر، فالدهن ترياق بدنها، وأسعدها ما حييت، فالمرأة حقل نافع لولي أمرها، ولا تتهمها عن سوء ظن وامتدحها تخبت شرها، فإن نفرت راقبها، واستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة في دارها"[18].

يوجه الكاتب ابنه إلى أن يحب زوجته، ويسعى لتحقيق مطالبها، وأن يكون لطيفًا في معاملته لها كي يدوم الهناء بينهما: "إذا كنت عاقلًا فدبر منزلًا، وأحب زوجتك التي هي شريكتك في حياتك، وقدم لها المعونة، وأحضر لها الطيب، وادخل عليها السرور، ولا تكن شديدًا معها؛ إذ باللين تملك قلبها، وأد مطالبها الحقة ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك"[19]. نجد أن الكاتب يهدف من قوله إلى نصيحة ابنه بكيفية حقيقة العلاقة الزوجية؛

---

[17]- البربري: الأدب المصري القديم، ص: 138-139.

[18]- LICHTEIN Miriam: Ancient Egyptian literature, Volum(1), University of Zurich, 1997, P: 69.

وكذلك: صالح، عبد العزيز: تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ1، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 2012، ص: 517.

[19]- Lichtein. M: Ancient Egyptian literature, P: 69.

كذلك: ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 17.

وهي الحب، والعشرة الطيبة، ومعاملة الزوجة بلطف، وألا يجلب لها ضرة لأنها لا تحب ذلك؛ كما أنه يحذره من القسوة مع زوجته إن كانت زوجة صالحة، وأن لا يفتعل أسباب الشقاق والخلاف في المنزل"، وعلى الرجل كي يسعد مع زوجته أن يعاونها، فيمنع بذلك نشوب الخلاف معها، إذ يقول: "لا تقس على زوجتك في دارها إن أدركت صلاحها، ولا تسألها أين موضعه، إذا تخيرت له وضعه الملائم افتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها، وإن شئت أن تسعد فاجعل يدك معها، وعاونها يجهل كثير من الناس كيف يمنع الإنسان أسباب الشقاق في داره، وقد لا يجد أحدهم مبررًا للنزاع فيعمل على خلقه بينما يستطيع كل إنسان أن يوفر الاستقرار في داره إذا تحكم سريعًا في نزعات نفسه، ولكن احذر أن تمشي في طاعة أنثى أو تسمح لها بأن تسيطر على رأيك"[20]. وهنا نجد تحذيرًا وقانونًا مهمًا للعلاقة الزوجية، فهو يدعوه إلى أن يعامل زوجته بالحسنى، وأن لا يقسو عليها، لكنه يحذره في الوقت ذاته ألا يطيعها، وألا يدعها تسيطر على رأيه.

وأكمل الحكماء نصائحهم بأهمية إنجاب ولد في سن الشباب، وأن يشرف الأب على تربيته، يقول بتاح حوتب: "إذا كنت رجلًا حكيمًا أنجب ابنًا يرضي الإله من خلال اتباع نصائحك وأفعالك، إنه فعل تحبه الآلهة "[21]، و"تقوم على تربيته وتنشئته فذلك شيء يسرُّ الآلهة، فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك، ونظم من شؤونك ورعاها، فاعمل له كل ما هو طيب؛ لأنه ولدك، قطعة من نفسك وروحك، ولا تجعل قلبك يجافيه فإذا ركب رأسه، ولم يأبه لقواعد السلوك، فطغى وبغى، وتكلم بالإفك والبهتان فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه، ويستقيم قوله، وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد. أما إذا تحدى قولك فاطرده؛ لأنه ليس ابنك ولم يولد لك"[22].

أما الحكيم الأديب آني في بداية الدولة الحديثة حوالي القرن الخامس عشر ق.م، فقد أرشد ولده إلى مقومات السعادة في الأسرة بضرورة الزواج في فترة الشباب كي ينجب ويتمكن من تربية ابنه فقال له: "تخيّر زوجتك حين الصبا عساها تنجب لك طفلًا، فإنها إن أنجبته وأنت شاب، استطعت أن تربيه وتجعله رجلًا، وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل، وأصبح يرتجى من أجل أبنائه"[23].

---

[20]– صالح، عبد العزيز: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص: 520.

[21]– Budge. Wallis: book of the dead. the papyrus of Any a reproduction in facsimile, vol(1), London, 1913, p: 102.

[22]– كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح، ص: 33–34؛ كذلك: ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 15.

[23]– البربري، أحمد؛ وعلي، محمد: الأدب المصري القديم، جامعة عين شمس، 2005، ص: 147.

ومع النصائح بقيام الزوج بمسؤولياته الأسرية، فإن الحكماء يدعونه للتمتع بوقته وإيجاد سبل التنعم؛ لأن النفس تحتاج لهكذا وقت من الراحة، وينصحه إذا ما أصبح ثريًا أن يمتع قلبه وألا يهمله، قائلًا له "ساير نفسك ماحييت، ولكن لا تتجاوز العرف وإياك أن تبتر ساعة المتعة، فالنفس تأبى أن يفسد وقت متعتها، ولا تستنفد من شؤون اليوم أكثر مما يعول دارك، وعندما يواتيك الثراء ينبغي أن يستمتع القلب فلن يجدي الثراء إذا أهمل القلب، وكن سمح الوجه ما دمت حيًا، فإن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها"[24].

وفي مقابل نصيحته له بإعطاء نفسه وقلبه وقتًا للمتعة والراحة، فإنه دعاه للحياء، فإذا دخل بيت رجلٍ آخر عليه ألا يقترب من نساء البيت كي يحفظ صداقته، ويحافظ على حرمة بيته ونسائه: فيقول: "كي تحافظ على الصداقة في بيت تدخله سيدًا أو أخًا أو صاحبًا فاحذر القرب من النساء، فإن المكان الذي هن فيه ليس بالحسن"[25]؛ و"أن الاقتراب من النساء يودي بالرجال إلى الهلاك، ويصبحون مجانين بزينة النساء المبهرجة، وبعد ذلك تصير مثل "حجر هرست"• شيئًا تافهًا مثل الحلم والموت يأتي في النهاية"[26].

ومن يتبع هواه بالنساء فإنه يضل عن رشاده، ولن يحصل على ما يريد، وينصحه بعصمة الجسد قائلًا له: "احذر مخالطة النساء، فما طاب مكان حللن فيه، ومن سوء الرأي أن يتلصص عليهن إنسان، وكم من مرء ضلَّ عن رشاده حين استهواه جسد براق، ثم تحول عنه إلى هباء، وأصبحت فترات متعته القصار أضغاث أحلام، وأفضت به إلى الهلاك"، ويتابع القول: "ينساق الفتى إلى الإثم والنهي ينهاه، ألا تفعل الإثم فالإثم عار، وأربأ بنفسك عن وخز الضمير كل نهار"، ويوضح له النهاية الوخيمة لمن لا يستمع إلى النصائح، ويلقي نفسه في التهلكة، قال فيها "مهموم النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارًا سعيدة، ومن أطاع هواه انتهى إلى التمني دون سواه"[27].

وحذر آني ابنه من المرأة المجهولة: " كن على حذر من المرأة المجهولة، لا تطل النظر إليها عندما تمر بك، ولا تقضي منها وطرًا، فقد تراودك عن نفسها، لا تستجب لها حتى في غفلة من الناس، إنها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يشيع أمرها بين الناس"[28]، ويعظه ألا يخضع لمطالب بدنه، وأن يكرم نفسه، ويكرم من حوله، ويعزز

---

[24]– صالح، عبد العزيز: تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ1، ص: 517.

[25]– حسن، سليم: مصر القديمة، في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي،جـ2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص: 421.

• حجر هرست: هو رمز للكرب والضيق والبلاء؛ انظر: كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح، ص: 36.

[26]– حسن، سليم: مصر القديمة، جـ2، ص: 421.

[27]– GUNN, op. cit, p: 42.

[28]– البربري وعلي: الأدب المصري القديم، ص 147.

لديه إطعام الجيران؛ لأنهم سيذكرونه بالخير دون علمه، يقول: "إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك أطراك الناس من حيث لا تدري، أما إذا ضلَّ الفؤاد وأطاع جسده فإنه يكون قد أحل صغاره محل حبه وتعس عقل صاحبه وساء وجهه بما جرته عليه نفسه"، ولقد عزت نفوس أتباع الرب، وحده ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه"[29].

سادسًا: آداب المائدة:

وكان لآداب الطعام حصة من النصائح المصرية، فإذا دعي المرء إلى مائدة من هو أعلى منه شأنًا، وأكبر منه مقامًا يرشده ألا ينظر إلى الطعام، وأن يأخذ ما يقدم له، وأن ينظر إلى أسفل إلى أن يحييّه صاحب الدعوة، ولا يتكلم إلا بعد أن يرحب به المضيف: "إذا اتفق وكنت من بين الجالسين على مائدة من هو أكبر منك مقامًا فخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك، ولا تنظرن إلى ما هو موضوع أمامك، ولا تصوب إليه نظراتك الكثيرة؛ لأن النفس (كا•) تشمئز عندما يصطدم المرء بها، وغضّ من بصرك حتى يحييك، ولا تتكلم إلا إذا حياك، اضحك عندما يضحك فإنها مما يبهج قلبه، ويجعل ما تفعله مقبولًا لديه؛ لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب. إذا جلس الرجل العظيم إلى الطعام، فإن مسلكه وأعماله تجيء من وحي روحه، فقد تمتد يده بالطعام إلى من يجلس بجواره، وقد تتجاوزه إلى البعيد بوحي من الروح (كا)، والخبز يرزقه الرب لمن يشاء"[30] .

ويعظه بالتعفف عن الطعام وإن كان جائعًا، وأن يكون قنوعًا بالأكل والشرب، فالقليل يكفيه لإشباع رغبته بالطعام، وألا يتبع شراهة بطنه، يقول كاجمني: "إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام وإن كنت شديد الرغبة فيه.. أن قدحًا من الماء يروي الظمأ، وطبقًا بسيطًا يكفيك، فالقليل يغني عن الكثير، تعسٌ هو الرجل الشره من أجل جسده.."[31]، وإذا جلست مع شخص شره بالطعام فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من وجبته، وإذا جلست مع سكير فلا تتناول شيئًا إلا بعد أن يفرغ من وجبته، وإذا أعطاك شيئًا فخذه ولا ترفضه فإن ذلك يريحه"[32].

---

[29]- صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ص: 517.

• كا: هي النفس والروح والقرين للشخص.

[30]- GUNN, op. cit , p: 44.

وكذلك: حسن، سليم: مصر القديمة، الجزء الثاني في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي، ص: 418؛ وذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 17.

[31]- Lichtein, op. cit , p: 59- 60.

وكذلك: كمال، محرم: الحكم والمثال والنصائح، ص: 48.

[32]- Lichtein, op. cit, p: 60.

البربري، أحمد؛ وعلي، محمد: الأدب المصري القديم، ص: 142-143.

سابعًا: نصائح للحاكم ووجوب طاعته:

انطلق الحكماء في تقديرهم للحاكم من كونه أكبر سنًا وأعلى مقامًا، ويملك بيده المنع والعطاء، وهو يمثل الملك في مكانه ، واتبع بتاح حوتب تقاليد عصره في تبجيل وتكريم الحاكم أو الرئيس، ولم يشأ إلا أن ينبه ولده إلى الخير الذي من الممكن أن يأتيه من كبار الشأن، لكنه عظّم لديه كبرياء النفس، وضرورة التوازن في السلوك، فلا يكون متملقًا للرؤساء، ولا ذليل النفس أمامهم، وألا ينتظر إلا نتاج عمله وجهده قائلًا له: "الرجل من قال اكتسبت بعملي، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسي، وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا فإذا هو في غده محروم من خيرات الكبار، ويقول لسوف أغنى هناك ثم ينتهي إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه ذلك أنه ما تحقق تدبير للخلق وأن ما أراده الرب يتحقق فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك الأرباب بأكمله والرزق وفق إرادة الرب، والجَهُودُ هو من يعترض على إرادته"[33]. ويقول له إن الرزق مقسوم من الإله، وليس الحاكم من يمنعه أو يعطيه، فإذا أراد الرب الرزق للشخص لا يمكن للحاكم أن يمنعه عنه.

ويتحدث كاجمني: "ارفع من شأن مستشاريك، وأغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل؛ لأن الرجل الغني في بيته لا يميل مع الهوى، ولا يتحيز؛ إذ يكون عنده من المادة ما يغنيه، ولكن الرجل الفقير (في وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة؛ لأن الرجل الذي يقول "ليت لي" لا يكون محايدًا، بل ينحاز إلى الشخص الذي يعطيه رشوة"، "إن العظيم يعد عظيمًا عندما يكون مستشاروه عظماء، والحاكم القوي من كانت له حاشية" "لا تقل إلا الصدق في بيتك (قصرك) حتى يخشاك الأشراف الذين يسيطرون على البلاد، وذو القلب المستقيم يفلح حاله؛ لأن داخل البيت هو الذي يمنح الاحترام في الخارج"[34].

وبدوره الحكيم (آني) يدعو ابنه إلى احترام الرئيس، وعدم مجابهته بما يسوؤه، ولكنه نبهه إلى أن الرب هو واهب الحاجات في الحياة، وألا يخاف من أحد إن كان على حق مهما علت سلطته، ويعظه ألا يزوّر في الكلام، فالإله يمقت ذلك، ويجعل المؤمن في سلام، وقال له في ذلك: "كن ثابتًا أمام غيرك من الناس، فالإنسان في مأمن في يد الرب والرب يمقت من يزوّر في الكلام".

ويطلب منه أن يكون متواضعًا ويتقبل الفقير كما يتقبل الغني، وألا يقبل الرشوة من صاحب النفوذ، ويذكره بأن الإله هو واهب العدالة، ومن لا يتحرى عدالته يفسد تدبيره في دنياه فيقول: "لا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب وتقبله في الأسمال، ولا تتقبل

[33]- صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ص: 519.

[34]- البربري، أحمد؛ وعلي، محمد: الأدب المصري القديم، ص: 144-145.

رشوة من صاحب نفوذ، أو تظلم مقصور اليد من أجله، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء" وقال له: "إن الرب يحب إسعاد الفقير، أكثر مما يحب تعظيم النبيل"[35]. و"كن حازمًا في حديثك مع الناس، أعلن عملك بدون خفاء، وتقدم بأفكارك في مجلس سيدك.. ويجب على الإنسان أن يقول بوضوح ما يعرفه وما لا يعرفه"[36].

و"إذا كنت مكلفًا بأداء رسالة من أحد النبلاء إلى نبيل آخر فأدها كما أخذتها تمامًا دون تحريف ولا تبديل، ولا تثر عداوة بكلماتك ولا تؤلب نبيلًا على نبيل بقلب الحقائق والباس الباطل ثوب الحق، ولا تكن نمامًا، فالنميمة تمجها النفس وتأباها الروح"[37].

ويحذر آني من الرد على الرئيس إذا كان غاضبًا: "لا تجب رئيسك وهو غاضب، بل ابتعد عن طريقه، وإذا خاطبك شخص بألفاظ جارحة، فخاطبه بكلام عذب، وهدئ من ثورته، فالإجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط، فإذا مرت ساعة غضبه فإن الرئيس سيتحدث إليك؛ لأن كلماتك الودودة قد استوعبها قلبه"[38].

وفي مقابل هذه النصائح في وجوب طاعة الحاكم، وضعت مجموعة من القوانين تفرض على الحاكم أو الرئيس اتباعها كي يحقق النجاح في عمله، ومن يخالف هذه القوانين يعاقب؛ إذ يقول بتاح حوتب: "إذا كنت في صحبة جماعة من الناس وكنت عليهم رئيسًا ولشؤونهم متوليًا فعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص، إن العدل عظيم طريقه سوية مستقيمة، هو ثابت غير متغير أنه لم يتغير منذ عصر الإله خالقه، ومن يخالف القوانين يعاقب، ومن استحل حقوق الناس حرامًا أخذ الحرام معه الحلال وذهب، ما كان الشر يومًا بموصل مقترفه إلى شاطئ الأمان قد يحصل المرء على شيء من الثروة عن طريق الشر، ولكن قوة الحق تبقى ثابتة، وأن حدود الحق واضحة والحلال بيّن والحرام بيّن، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه. و"لا تنشر الرعب بين الناس فهذا أمر يعاقب عليه الرب، هناك من الناس من يقول: "فيمشي في الأرض مرحًا ويتكبر ويتجبر، فيجازي بالحرمان من خبز فمه، وهناك من الناس من يقول: "ها هي سطوتي" ويخيل إليه أنه يستطيع أن يستولي على كل من يخطر له بالباطل، وبينما هو يتشدق بذلك تنزل به النازلة فلا يملك دفعًا ولا لنفسه نفعًا، وهناك من يتحايل على الحصول على ما ليس له ليقتني بذلك ثروة تغنيه، وليهيئ لنفسه الأمن في

[35]– صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم العراق ومصر، ص: 520.
[36]– حسن، سليم: مصر القديمة، جـ2، ص: 420.
[37]– ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 17.
[38]– البربري، أحمد؛ وعلي، محمد: الأدب المصري القديم، ص: 152.

مستقبله، ولكن المستقبل لا يهيئه أحد لنفسه؛ لأنه بيد الرب، فما من شيء هيأه المرء لنفسه قد وقع، وإنما يقع ما أمر به الرب"[39].

فيجب على من أصبح رئيسًا على جماعة من الناس أن يعاملهم معاملة حسنة، ويجب أن يحقق العدل بين الناس، وألا يأكل حق غيره؛ لأن أكل الحقوق حرام، والمال الحرام يزول.

ويجب عليه ألا يثير خوف الناس؛ لأن نشر الرعب يعاقب عليه الرب، وألا يتحايل على القوانين لتحصيل الثروة، وأن المستقبل يصنعه الإله، وما أراد الإله هو ما سيحصل.

ثامنًا: الغنى والثروة:

إن الغنى الحقيقي والثروة يأتيان من السمعة الطيبة بين الناس دون أن يتكلم المرء، وقال له واصفًا ذلك: "هي أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلم ويطريك الناس من حيث لا تعلم" [40].

ويمكن أن يحصل على الثروة من العمل الذي يقوم به الشخص، فيحصل على بركة الإله، ويحذره ألا يأكل مال غيره، فنجد بتاح حوتب يقول: "إذا كنت مزارعًا فاحصد نتاج حقلك، وسيبارك لك الرب فيه، ولا تملأ فمك على مائدة جارك، اسمع يا بني، إن الثراء لا يأتي وحده، أنه يفد على من يريده، ويعمل له [41]. ويرشده ألا يكون جشعًا طماعًا[42].

ويقدم النصح لابنه من خلال مجموعة من القوانين، فإذا أصبح ذا جاه فعليه أن يستمع للآخرين، وألا ينهر المتكلم الذي يشتكي مظلمته، فلا يشعر بالذنب تجاهه فيقول: "ترفق حين تستمع إلى حديث الشاكي ولا تنهره حتى يفضي بما في جوفه، ويحكي ما جاء من أجله، فالمتظلم يحب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته، والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضي له حاجته، ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد"[43].

تاسعًا: نصائح لاحترام الأم:

كان للأم وطاعتها وتلبية حاجاتها نصيب من نصائح آني، فكما أوصى ابنه بزوجته أوصاه أكثر بأمه، وأن يقدم لها حاجتها من الطعام، وأن يحملها كما حملته، وربما هنا

---

[39]- ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 17.

[40]- صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ1، ص: 517.

[41]- كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ص: 33.

[42]- Lichtein, op. cit, p: 69.

[43]- صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ1، ص: 517.

المعنى المجازي للكلمة، والمقصود أن يساعدها، ويداري عجزها، فكما رعته صبيًا حتى كبر يجب أن يرعاها، وهي في سن الشيخوخة، قائلًا له: "ضاعف الخبز لأمك، واحملها إن استطعت كما حملتك، فطالما تحملت عبئك ولك تتركه على...، ومنذ ولدت بعد أشهرك أسلمت ثدييها لفمك خلال ثلاث سنين، متحملة قاذوراتك دون أنفة قائلة ما الذي أفعله وحينما ألحقت بالمدرسة وعلمت الكتابة فيها ظلت تواظب دوني (على الذهاب إليك) يوميًا بالخبز والشراب من دارها فإذا شببت واتخذت زوجة واستقررت في دارك ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها"[44].

عاشرًا: نصائح للأبناء:

عبّر الحكيم عن أهمية تهيئة الولد ليكون خلفًا لأبيه، وأطلق التعبير (عكاز) للدلالة على أن الابن سيكون يد أبيه وعونه عندما يتقدم به العمر، ويصبح عجوزًا فيتكئ على ابنه كأنه عكازه، بقوله: "اصنع لي عكازة لكبر سني، ودع ابني يحتل مكاني، فأعلمه أحاديث من يسمعون، وأفكار من سلفوا، وهم الذين حرموا السلف في الأزمان الخالية، وليتهم يعملون لك بالمثل، حتى يتقي الشجار بين الناس، وتخدمك مصر". وأن يتعلم، ويكون مثالًا يحتذي به أبناء النبلاء، ويأتي ذلك على لسان الوزير؛ إذ يجيب جلالته: "علمه أولًا الحديث.. وإني أرجو أن يكون مثالًا لأولاد العظماء، وليت الطاعة تكون رائدة، ويدرك كل فكرة صائبة ممن يتحدث إليه، فليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه".

لقد وافق الملك وزيره بتاح حتب على تعليم ابنه (ابن الوزير) ليعدّه للقيام بأعباء الواجبات الحكومية وللحياة حتى يكون مساعدًا وخلفًا له، فأخذ الوزير المذكور يسدي النصح لابنه بألا يسيء استعمال الحكمة التي سيتلقنها بل عليه أن ينهج سبيل التواضع[45].

وعلى الابن ألا يتنكر لوالده، وأن يعترف بجميل صنعه، فيقول الحكيم كاجمني: الابن الذي ينكر الجميل يحزن والديه، إن قلة الأدب بلادة ومذمة[46].

وعدَّ استماع الابن لكلام والده ونصحه قانونًا يجب ألا يهمل تنفيذه، وأن ذلك سيرفع من شأنه وسيخلد ذكره كما خلدت أسماء من سبقوه: "فإذا استمعت إلى ما سردته عليك، فإن منزلتك سوف تسمو وترتفع، كما ارتفعت منزلة الأجداد الذين ذهبوا في العصور السالفة، وخلفوا من الحق كل جليل، وغدت ذكراهم خالدة لا تفنى ولا تزول في أفواه

---

[44]– Budge, OP. CIT, P: 104.

وكذلك: صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم العراق ومصر، جـ1، ص: 520.

[45]– حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة، جـ17، ص: 186.

[46]– ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 14.

الناس، لأن حكمتهم كانت عظيمة، وكل كلمة من أمثالهم ستبقى كشيء خالد في هذه البلاد يقتبس منها الأمراء –حين يتكلمون– ما تتحلى به أقوالهم وتزدان. إن حكمي وأمثالي ستعلم المرء كيف يتكلم بعد أن يسمعها ويعيها، فيصبح عبقريًا في كلامه وفي سمعه وطاعته، وسيكون التوفيق من نصيبه، وسيعلو شأنه، وينبه ذكره، وتسمو مرتبته، ويصل إلى أعلى عليين، وسيظل فاضلًا كريمًا حتى آخر حياته، يملأ الرضا نفسه، وسوف يهديه علمه إلى مكان الأمان؛ لكي يعيش في طمأنينة وسعادة على وجه الأرض، وسوف يكون العالم راضيًا بما أوتيه من علم، أما الأمير فإن قلبه سيكون سعيدًا ولسانه مستقيمًا؛ لأن هذه الحكم والأمثال ستنطق شفتيه، وتفتح عينيه، وتسمع أذنيه، وتوقفه على كل ما هو مفيد لابنه حتى ينصلح حاله ويستقيم أمره.

وعُدَّ الابن الذي يسمع ويطيع كأحد أتباع حورس يبلغ سن الشيخوخة ويصل إلى أعلى مراتب الشرف والتقدير، وهو يردد على أبنائه وبناته نصائح والده وتعاليمه حتى تظل خالدة متجددة، ينقلها كل أب إلى أبنائه جيلًا بعد جيل.

كن حرًا في الكلام حين يستمع إليك رجل عالم، واحرص على أن تعلو سمعتك في أفواه من يسمعك، وإذا دخلت في أمر كخبير فلا تجعل شفتيك تنطقان إلا بما هو حق، حتى يكون مسلكك حسنًا. ومهما يكن قلبك مليئًا يفضي بما فيه من شجون، فحذار أن يتكلم فمك، وليكن مسلكك متزنًا عندما تكون بين النبلاء، ولبقًا أمام سيدك ومولاك، ولتفعل كل ما يأمر به. اشحذ لبك• حين تتكلم حتى تأتي بكلام يقول عنه النبلاء الذين يصغون إليه: "ما أجمل ما يخرج من فمه"، وينتهي به إلى الأمر والطلب" نفذ وصية سيدك ومولاك التي أوصاك بها.

الحادي عشر: العقاب والثواب في الآخرة ويوم الحساب:

اهتمَّ المصريون القدماء بالآخرة وبالحياة، وما بعد الموت والبعث بعد أن تفارق الروح الجسد؛ لذلك سمت أهدافه في الحياة، وسعى إلى معرفة طريق الحق والصواب كما رآها.

وجاءت أهداف التعاليم في هذا المنحى لتخليد ذكرى صاحبها من جهة ولتعليمه كيفية الوصول إلى الخلود باتباعه النصائح والحكم، وعدَّ ذلك بمثابة الهداية للشخص يقول بتاح حتب: "ما أعظم الإنسان الذي يهتدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم"[47].

و أراد بتاح حوتب أن يوجه ابنه إلى ضرورة تعلم الحكمة، وأبرز ما يلفت النظر في أقواله: "حصّل الأخلاق وارعَ الحق واعملْ على نشر العدالة، وعاملْ الجميع بصدق" وهذا دليل النجاح لمن أراد اتباعه، أن يتحلى بالأخلاق الفضيلة، وأن يؤدي الحقوق

• لبك أي قلبك باللغة المصرية القديمة.

[47]– ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ص: 16.

لأصحابها، وأن ينشر العدالة؛ لأنها باقية، وذكراها لا تزول، وبذلك بحث المفكرون المصريون عن المثل العليا للخلق العظيم برزانة وتدبر[48].

وكل تلك التعاليم تحسبًا ليوم الحساب، فقد جاء في المصادر المصرية مشهد رسم على ورقة بردية، يصور الحساب والعقاب، ويظهر المشهد المتوفى وقد وضع قلبه في كفة ميزان، وفي الكفة الأخرى وضعت الريشة التي ترمز إلى الماعت؛ وهي إلهة الحق والصدق والعدل، ويوزن قلب الميت، وعلى الميت أن يبرأ نفسه من كل ما قام به في الحياة أمام اثنين وأربعين قاضيًا يمثلون اثنتين وأربعين صفة من الصفات الأخلاقية، فيبدأ الميت بإنكار كل النقائص، وهذا المشهد يرينا أهمية أن يكون المرء على الصراط المستقيم، وكم كان المصري حريصًا على الابتعاد عن الرذائل والتنصل منها في يوم الحساب، ويرينا القيم الخلقية التي يجب اتباعها، ويعدها منهاجًا قويمًا لحسن السلوك في الدنيا والآخرة.

ثم يبرأ الميت من التهم الموجهة إليه فيقول "مري كارع": "لم يرتكب أية خطيئة ضد الناس، وأنه لم يفعل ما يمقته الإله، وأنه لم يترك أحدًا يتضور جوعًا، ولم يتسبب في بكاء أي إنسان، ولم يأمر بالقتل، ولم يتسبب في شقاء أي إنسان، ولم يأمر بالقتل، ولم يتسبب في شقاء أي إنسان، ولم يغتصب الطعام، ولم يسرق، ولم ينطق بالكذب، ولم يغش، ولم يسب، ولم يتكبر، ولم يرتكب الزنا، وأنه لم يعذب الأرملة، ولم يكذب أمام القضاة، ولم يعرف الخيانة، ولم يدنس الأشياء المقدسة، ولم يسع في ضرر العبد عند مولاه، ولم يغتصب اللبن من أفواه الرضعاء، وأنه طاهر".

وبعد أن ينتهي الميت من تبرئة نفسه أمام المحاكمة في يوم الحساب ينتقل إلى مشهد يقف أمام الإله "أوزوريس" ويقول إنه: "قد فعل ما يقول به الناس، وأرضى الإله بما يرغب فيه، وأعطى الجائع خبزًا والصادي ماء والعريان لباسًا، وقدم قربانًا مقدسًا للإله، وقربانًا من الطعام للموتى". وإذا رجحت كفة الميزان لقلب الميت داخل الجنة ومن رجحت كفة الريشة على القلب اتضح سوء عمله وقيامه بالخطايا، فكان عقابه بإلقائه إلى حيوان عمعمت "كان يأكل الأحشاء في يوم الحساب الكبير".

إن نشأة الاعتقاد بأن النعيم في جميع صوره يتوقف على ما للإنسان من الصفات الخلقية في الحياة الدنيا، تعد من الخطوات المهمة الخطيرة كما قال برستد، كما أن الاعتراف بالحساب في الآخرة، وبحاجة الإنسان إلى قيم خلقية يتصف بها في الحياة الآخرة يعد في الواقع أمرًا عظيم الأهمية، وهو نقطة تحول في الارتكاز على العوامل

[48]- كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ص: 9-10.

الظاهرية الخارجة، وبذلك بزغ فجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر باعتبار الأبدية أمرًا يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجثمان[49]..

الخاتمة:

أنتج المصريون القدماء أدبًا غنيًا ومتنوعًا بموضوعاته، وكان أهمهما ما تعلق بالحكم والنصائح التي وجهها في الغالب الأب لابنه، لترسم له طريق حياته ليصل لمستقبله بخطا العارف بأسباب النجاح، وتضع قواعد تنظم سلوكه مع من حوله من أم وأب وابن وزوجة ورئيس وحاكم، وكل ذلك بهدف الوصول إلى الآخرة ، وقد عرف كيف يرضي الآلهة.

وأخذت الحكم المصرية صيغة النصائح اللطيفة التي لا يعقبها عقاب شديد، ولم يتبع الحكماء أسلوب النهي والأمر، وتعمدوا الإقناع كوسيلة ليصلوا إلى غايتهم في توجيه الفرد وإتباعه مكارم الأخلاق، ودعوه للترفع عن الصغائر وعدم الإساءة إلى الضعيف، ومعاملة الزوجة والابن والأم معاملة حسنة، وأن يستمع الابن لنصائح أبيه كي تحبه الآلهة، وأن يسيطر على الشهوة وألا يسمع لشهوة بدنه سواء بالطعام أم الشراب أم حب النساء، وكان أهم نصيحة اتفق عليها جميع الحكماء هو التعلم؛ لأن ذلك سيتيح للمرء أن يكون كاتبًا أو موظفًا، وهذا عمل مرموق وذو شأن في المجتمع.

وبدأت النصائح بكلمة "إذا" لكنها لا تتحدث عن صورة العقاب كالقول إذا لم تفعل كذا فسيكون العقاب كذا، واكتفت هذه الحكم بالقول: إذا فعلت كذا، فهذا يرضي الإله أو لا يرضيه، وهو أسلوب لطيف محبب دون أن يكون فيه إكراه أو إجبار على تنفيذ النصيحة.

كما اتفقت النصائح على التأكيد على سامعها بأن يتبع نصائح أبيه، وأنه إذا اتبع هذه النصائح فإنه سيصبح ذا شأن بالمستقبل، وستحبه الآلهة وترضى عنه وستعمل لإسعاده.

واجتمعت الحكم على أخلاقيات دينية كإرضاء الآلهة أو الحث على التعلم؛ لأن الكاتب هو وريث الآلهة، ويعرف المستقبل كما الآلهة، أو أخلاقيات اجتماعية كعلاقة المرء بأسرته، وزوجته، وأبنائه، كذلك أدبيات التعامل مع الرؤساء وأصاب الشأن في المجتمع، أو تعاليم صحية تهتم بصحة الشخص والقناعة في أكله وشربه.

هذه الحكم لها مقدمة وخاتمة وشيء يشبه مواد القوانين، فتبدأ بالنصيحة، والأخذ بها كشرط للنجاة من مصاعب الحياة، ثم ترد التعاليم التي يريد الحكيم من ابنه تنفيذها، ثم الخاتمة التي تؤكد على ضرورة أن يستمع الابن لنصائح أبيه؛ لأن ذلك سيسر الآلهة وتجعله محبوبًا من قبلها.

[49]- كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح، ص: 13-14-15.

وارتبطت هذه التعاليم برضى الآلهة، وكأننا أمام قوانين إلهية يتوجب على البشر السير عليها منعًا من الوقوع في الخطأ، مع أن هذه النصائح بدت موجهة من الأب لابنه إلا أنها اتخذت صيغة قانون عام يسير عليه كل من يقرأ هذه التعاليم والحكم، وهذا ما نستدل عليه من لوحة الحساب في الآخرة، وتبرئة الميت نفسه من الخطايا أمام الآلهة.

المراجع العربية:

1. البربري، أحمد: الأدب المصري القديم، كلية الآداب جامعة عين شمس، 2006.
2. البربري، أحمد، وعلي، محمد: الأدب المصري القديم، جامعة عين شمس، 2005.
3. حسن، سليم: الأدب المصري القديم أدب الفراعنة، جـ1، في القصص والحكم والتأملات والرسائل، 1990.
4. حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة، الأدب المصري القديم في القصة والحكم والتأملات والرسائل الأدبية، جـ17، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة القاهرة، 2000.
5. حسن، سليم: مصر القديمة، في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي،جـ2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
6. ذكرى، أنطون: الأدب والدين عند قدماء المصريين، ط1، مطبعة المعارف بمصر، 1923.
7. صالح، عبد العزيز: أدب النصيحة والسلوك في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1959.
8. صالح، عبد العزيز: تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، جـ1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012.
9. كمال، محرم: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ط2، الهيئة العامة للكتاب، 1918.

المراجع الأجنبية:

1. Budgge, Wallis: book of the dead, The papyrus of Any a reproduction in facsimile, 1, London, 1913.
2. Bttiscom be Gunn: The instruction of PTAH-HOTEP and the instruction of KEGMNI ,The oldest books in the world , LONDON, 1912
3. Lichtein, Miriam: Ancient Egyptian literature, 1, University of Zurich, 1997.